﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٩٥﴾ [يونس: 95]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تحرّي الحقِّ يستدعي النَّهيَ عن الامتراء، وعن التَّكذيبِ الآيل للخسران

لمّا نهى النَّظمُ الجليل عن الامتراءِ، ولم "يبقَ ممّا اقتضتْهُ القسمةُ العقليَّة إلّا العنادُ ممَّن يَمْكُنُ منه، كما فعلَ بنو إسرائيلَ بعد مجيءِ العلم، أتْبَعَهُ النَّهيَ عن مثل حالِهم بقولِه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾"[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الدَّعوةُ إلى تجنُّبِ التَّكذيبِ بالحقيقةِ

يقول الحقُّ تعالى مخاطِبًا النَّبيَّ ﷺ، والمرادُ سواه: ولا تكونَنَّ - يا محمد ﷺ - من المكذِّبينَ بآياتِ القُرآنِ وحُجَجِه في الأكوانِ - ممّا يدلُّ على وحدانيَّته وقدرته على إرسالِ الرُّسلِ لهدايةِ البشرِ - فتكونَ من الخاسرينَ أنفُسَهم بدخولِ النّارِ، المُضَيِّعينَ سعادةَ الدُّنيا والآخرةِ، فاثبُتْ على ما أنت عليه من التَّصديقِ بالقُرآنِ.

ولهذا النَّوعِ من الخطابِ فائدةٌ لا تَتَأتّى بمخاطَبةِ النّاسِ مباشرةً، فهو يُفيد شدَّةَ التَّخويفِ؛ لأنَّه إذا كان رسولُ اللّه ﷺ يُحذَّرُ من مِثْلِ هذا؛ فغيرُه من النّاس أولَى أن يُحذَّر، ويُتَّقى على نفسِه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بيانُ وصلِ الآيةِ بما قبلَها في السّياق:

النَّهيُ متَّجهٌ إلى الامتراءِ والتَّكذيبِ، تعريضًا بذلك

قولُه جلَّ شأنُه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معطوفٌ على قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾، فالنَّهيُ متَّجهٌ لكلا الفعلَيْن الامتراءِ والتَّكذيبِ، وذلك ليكونَ التَّعريضُ مشتركًا بينَهما[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/206.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/289، وابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/143، ورشيد رضا، تفسير المنار: 11/392، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 374، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 11/155.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/286.

بلاغةُ التَّعريضِ في جملةِ النَّهي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾:

تـقـريـرٌ لـصـدقِ الـــقـــرآنِ في خطابِه

والنَّهيُ في هذه الآيةِ والآيةِ الَّتي قبلَها ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾، يدلّان على أنَّ فرضَ وقوعِ الشَّكِّ، والسُّؤالَ فيما قبلَهما عنه، تعريضٌ بالشّاكّين المُمترين والمكذِّبين له ﷺ من قومِه[1].

سرُّ تقديمِ النَّهيِ عن الامتراءِ على النَّهيِ عن الكذبِ:

التَّكذيبُ أخطرُ شـأنًـا، فـأخَّـره للتَّدرُّجِ

قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ﴾، بدأ بالنَّهيِ عن الامتراءِ وأتْبعَه بالنَّهيِ عن الكذبِ؛ لأنَّ الامتراءَ "أمرُه أسهلُ من أمرِ المكذِّبِ، فَبَدَأ به أوَّلًا، فَنَهى عنه، وأتْبعَ بذكرِ المكذِّبِ، ونهى أن يكونَ منهم"[2]، فأخَّر ذكرَ الأخطرِ شأنًا للتَّدرُّج من الأدْنى إلى الأعْلى.

توجيهُ تكرارِ النَّهيِ بلفظِ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾:

مـع كـلِّ فـعـلٍ قـبـيـحٍ، يُـعـاد النَّهيُ الصَّريح

في قولِه عزَّ ذكرُه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ تكرَّرَ النَّهيُ بعد أن تقدَّمَ النَّهيُ عن الامتراءِ في ختامِ الآيةِ التي قبلَ هذه الآيةِ، "والمرادُ بذلك إعلامُ أنَّ الامتراءَ والتَّكذيبَ قد بلغا في القُبحِ والمحذوريَّةِ إلى حيثُ ينْبغي أنْ يُنهى عنهما مَنْ لا يُمكنُ أنْ يتَّصفَ بهما، فكيف بمَنْ يُمكنُ اتِّصافُه، وفيه قطْعٌ لأطماعِ الكَفَرَةِ"[3].

وجهُ نهيِ النَّبيِّ ﷺ عن التَّكذيب:

تقبيحُ التَّكذيبِ بـحـيـثُ يَـنْـهـى مَـن لا يُـتـصـوَّرُ التَّكذيبُ منه

قوله عزَّ ذكرُه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ جاء الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ بالنَّهي عن التَّكذيبِ، فالتَّكذيبُ ممّا لا يصدُر عنه ﷺ ؛ وهو غيرُ متصوَّرٍ عقلًا منه، ولا محقَّقٍ وجودًا، وإنَّما المُرادُ أمَّتُه وأتباعُه[4]، وهو "مِن بابِ التَّهييج

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/392.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/106، حقّي، روح البيان: 4/80.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/179.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/206.

والإلهابِ، والمرادُ به إعلامُ أنَّ التَّكذيبَ من القُبحِ والمحذوريَّةِ، بحيث ينْبغي أن يُنْهى عنه مَن لا يُتصوَّرُ إمكانُ صدورِه عنه، فكيف بمَن يمكنُ اتِّصافُه به"[1]. والمرادُ من النَّهيِ التَّعريضُ بالشّاكّين المُمْترين والمكذِّبين له ﷺ من قومِه[2].

سرُّ العُدولِ من الصِّفةِ إلى الموصول:

إظـهـار عـلَّـةِ ضلالـهِـم، وأنَّ الـكـذبَ فـعـلٌ معهودٌ منهم

عَدَلَ من (فلا تكونَنَّ من المكذِّبين)، إلى ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾؛ وذلك "لبيانِ أنَّ صلةَ الموصولِ سببٌ لانْغمارِهم في الضَّلالةِ؛ إذِ الآياتُ الكونيَّةُ واضحةٌ، وآياتُه القرآنيَّةُ تحدّى بها الرَّبُّ أنْ يأْتوا بمثلِها، فعجَزوا"[3]. وعبَّرَ بالموصولِ (الّذين) للدَّلالةِ على قومٍ معهودٍ منهم الكذبُ، والنَّهيُ عن الكونِ من فئةٍ مخالطةٍ حاضرةٍ أبلغُ من النَّهيِ عن الكونِ، في صفةٍ لجنسِ (المكذِّبين) الَّتي تدلُّ على العمومِ.

نكتةُ التَّعبيرِ عن فعلِ الكذبِ ماضيًا مشدَّدًا ﴿كَذَّبُواْ﴾:

من كذب وتحرّى الكذبَ؛ كُتبَ في ديوانِ الكذّابين

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، جاء فعلُ التَّكذيب بصيغةِ التَّفعيلِ دلالةً على أنَّ المرادَ بهم أولئك الَّذين اعتادوا الكذبَ، وبالغوا فيه، وكرَّروه، وأكثروا منه حتّى امتهنوه، وصار لهم سجيَّةً.

سرُّ جمعِ الآياتِ في قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّـهِ﴾:

آياتُ الله تعالى مـبـثـوثـةٌ في الكونِ، ومنزَّلةٌ في الوحي

في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ جاء النَّظمُ الجليل بلفظِ الآياتِ بصيغةِ الجمعِ؛ لأنَّها آياتٌ كثيرةٌ، فـ "آياتُ اللّه سبحانه كما نعرفُها متعدِّدةٌ؛ إمّا آياتٌ كونيَّة، وهي الأصلُ في المعتَقدِ الأوَّلِ بأنَّ خالقَها هو الخالقُ الأعلى سبحانَه، وتُلْفِتُ هذه الآياتُ إلى بديع صُنْعِه سبحانَه، ودقَّةِ تكوينِ خلقِه، وشمولِ قدرتِه، وكذلك يُقصدُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/175.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 11/392.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3634.

بالآياتِ؛ المعجزاتُ المُنزَلةُ على الرُّسُل ﷺ ؛ لتُظهِر صدقَ كلِّ رسولٍ في البلاغِ عن الله تعالى"[1].

وجهُ إضافةِ الآياتِ إلى الله سبْحانَه:

عظُمَتِ الآياتُ بنسبَتِها لله تعالى، وعظُم كفرُهم بصدِّهم عنها

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أضاف النَّظمُ الكريم لفظَ الآياتِ إلى الاسم الجليلِ للدَّلالةِ على عظمتِها، أي: "الَّتي لا أعظمَ منها بإضافتها إلى مَن لا أعظمَ منه"[2]، فاكتسبَ المضافُ من المضافِ إليه التَّعظيمَ؛ تنويهًا بأنَّها كانت جديرةً بأنْ تؤثِّرَ فيهم فقهًا وعظةً، ولكنَّهم قد سبقَت عليهم كلمتُه، فأعْماهم، وأصمَّ أبصارَهم.

معنى الفاءِ في: ﴿فَتَكُونَ﴾ من السّياق:

يتعلَّقُ التَّكذيبُ بالخسرانِ، تعلُّقَ السَّببِ بالمسبَّبِ

افتتحَ التَّحذيرَ في قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ بالفاءِ الدالَّةِ على السَّببيَّةِ لبيانِ أنَّ ما بعد الفاءِ مسبَّبٌ عمّا قبلَها، فقد ترتَّبَ الخسرانُ على تكذيبِ الآياتِ، أي: "إنَّهُ يترتَّبُ على تكذيبِ آياتِ اللّه أن تكونَ في صفوفِ الخاسرين الَّذين خسِروا الإيمانَ، وهذا أساسُ الخسْران، فخسِروا الإيمانَ باليوم الآخرِ، وما فيه مِن جزاءٍ بعدَ الحِساب، وخسِروا، فزعموا أنَّ الحياةَ الدُّنيا وحدَها هي الحياةُ، وهذا هو الخسْرانُ المبينُ"[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بفعل الكونِ مضارعًا:

من معالمِ الخسْرانِ الدَّيمومةُ فيه

آثر النَّظمُ الكريم في قولهِ عزَّ ذكرُه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ التَّعبيرَ بالفعل المضارعِ للدَّلالةِ على دوام الكينونةِ في الخسْرانِ، وذلك إيماءٌ إلى كونِه راسخًا في الخسْران[4].

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 10/6201.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/206.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3634.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/206.

دلالةُ صيغةِ اسمِ الفاعلِ ﴿ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾:

ليس بعدَ نَيْلِ الخسرانِ من تغييرٍ، لهذا الوصف الدّائم الخطير

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، عبَّر النَّظمُ الجليل عن الخسران باسمِ الفاعلِ للدَّلالةِ على أنَّ الجزاءَ بالخسرانِ، سيكونُ على جهةِ الثَّباتِ، والرُّسوخِ في الصِّفة؛ فَصِفَةُ الخسرانِ لن تتغيَّرَ، ولن تزولَ، وفي ذلك مبالغةٌ في الرَّدعِ عن التَّكذيبِ بآياتِ اللّه تعالى.

سرُّ جمعِ لفظ (الخاسرين) ودلالة تعريفِها:

الخاسرُ محشورٌ في زُمرةِ الخاسرين

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ عبَّر النَّظمُ الجليل عن الخسران بصيغةِ الجمعِ للدَّلالةِ على كونِه إذا سلَك في مدرَج التَّكذيبِ؛ فإنَّه لن يكونَ خاسرًا فحسبُ، بل سيكونَ من زُمرةِ الخاسرين محشورًا معهم، وهذا أبلغُ في بيانِ الخُسْرانِ ممّا لو قال: (فتكون خاسرًا)؛ إذ إنَّ الانضمامَ إلى فئةٍ مشهورةٍ بصفةٍ ما يدلُّ على المبالغةِ في تلك الصِّفةِ.

نكتةُ حذفِ متعلَّقِ (الخسران):

من خسِر اللهَ؛ فقد خسِر كلَّ شيءٍ في دنياه وأخراه

جاء التَّعبيرُ عن الخاسرين في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ بالإطلاقِ، فلم يبيِّنْ أيَّ شيءٍ خسِروا، فجعله عامًّا؛ ليدلَّ على أنَّهم خسِروا كلَّ ما يتعلَّقُ به الخسْرانُ، فهم "﴿مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ أنفسًا وأعمالًا"[1].

علَّةُ التَّعبيرِ بلفظ (الخاسرين) دونَ (الكافرين):

التَّرهيبُ بالخسْران، أبلغُ من التَّحذيرِ من الفعلِ ذاتِه

في قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ جاء التَّعبيرُ بالخسران دونَ الكفرِ؛ لأنَّه "أظهرُ في التَّحذير من التَّعبيرِ بالكافرين"[2]؛ لأنَّ الخسْرانَ يتضمَّنُ مآلَ الكفرِ، فهو أبلغُ وأوجزُ، والتَّحذيرُ من الخسْران أبلغُ من التَّحذيرِ بالكيْنونةِ من الكفرِ؛ لأنَّ بيانَ السَّببِ الدّافعِ لترك الكفرِ أبلغُ من التَّحذيرِ عن الكفرِ.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/175.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/179.

بلاغةُ التَّعريضِ في جملةِ الفاصلةِ:

قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، جاء عَقِبَ النَّهي عن التَّكذيبِ للتَّعريضِ بالمُمْترين والشّاكّين، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يُتصوَّرُ منه ذلك، "لا سيَّما بعد تعقيبِه بقوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ وفي هذا التَّعريضِ من الزَّجرِ للمُمْترين والمكذِّبين ما هو أبلغُ وأوقعُ من النَّهي لهم أنفسِهم؛ لأنَّه إذا كان يُنهى عنْه مَن لا يُتصوَّر صدورُه عنْه، فكيف بمَن يُمكنُ منه ذلك؟"[1].

نـهـيُ مَـن لا يُتصوَّر صدورُ التَّكذيب عنْه، زجْـرٌ لمن يُمكنُ منه ذلك

(1) القنّوجيّ، فتح البيان: 6/123 - 124.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»